المبالغة في مديح أعمال السلاطين وأفعالهم من خلال كتب سير الحكام المفردة أبان العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣/ ١٢٥٠-١٥١٧)

الباحثة: إيمان فرحان كاظم **أ.د. فاضل جابر ضاحي**

جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية

البحث مستل من اطروحة الدكتوراه

الملخص:

في النهاية توصل البحث الى العديد من النتائج أهمها

- راج فن كتابة التراجم لاسيما كتب السير المفردة للسلاطين أبان العصر المملوكي .
- تميز أغلب مؤرخو كتاب سير الحكام بطابع التملق ، والإكثار من المبالغات في المديح بغية الحصول على رضا السلاطين .
- أغلب من كتب عن سير الحكام في تلك الفترة هم من عاصر السلاطين أصحاب السير .
- عد هذا الجانب عامل سلبي وضعف ، كونها أثقات هذه الكتب التأريخية بالعديد من صفحات المبالغة من المديح والثناء والتي لا تخدم دارس التأريخ .

المقدمة:

تناولت الدراسة البحث في كتب السيرة المفردة للحكام خلال عصر المماليك ، والتي لاقت رواجا واضحا في مجال التأليف وظهر هناك العديد منها ، ركزت الدراسة على المبالغة في وصف أعمال السلاطين وأفعالهم ، إلا ان المؤرخ من هذا الصنف عدها صورة من صور العظمة والفخر بسلطانه ، لتعظيم سيرته بالعبارات المزخرفة الرنانة ، وهذا يعد عامل ضعف لكتب سير الحكام المفردة والتقليل من أهميتها التأريخية .

من انواع المبالغة في المديح ما يخص اعمال الحكام وافعالهم وتهويلها وجعلها من الخوارق ، هذا ما لمسناه في كتابات السيرة المفردة للحكام خلال العصر المملوكي رغبة من المؤرخين في تأطير تلك السيرة

بالحسنات والايجابيات وتصوريها وكأنها من النوادر التي لم يظهر مثيل لها من قبل.

ومن جملة مؤرخي عصر المماليك ابن قاضي شهبة الذي دون لنور الدين زنكي بوصفه قد اعجب به وبصفاته وأعماله وأراد أن يتوج هذا الإعجاب بعمل تدوين كتاب لسيرته ، وقد طغى هذا الإعجاب على موازين المؤرخ المنصف المحايد فنجد المؤرخ قد صور لنا وأدرج أعمال بطل السيرة كلها بأبهى العبارات وأجمل الثناء والمديح حتى وإنّ خرج الفعل عن الحق والمعقول ، فمن أعمال نور الدين التي أوجبت تدوينها وحفظها هي بناءه المستشفيات والإهتمام بها ، إلا أنّ تفاصيل هذا العمل تشير الى تعنصر نور الدين وظهور النفس الطائفي والإنحياز لجانب المسلمين على حساب بقية الطوائف الأخرى ، وهذا الشي يسانده نور الدين ويؤيده ويعده من مفاصل الفخر في جوانب أعمال زنكي ، وتكملة الرواية هو عند إكمال بناء البيمارستان زاره نور الدين زنكي وتفقد مرافقه ، وقال ملخصا يدل على من سيستفاد من هذا الصرح مقدما بقوله "هذا حلال على جميع المسلمين وحرام على اليهود والنصارى وعلى غلام وجارية تحت الرق فلا يدخله إلا وهو معتوق" [١] ، يبدو أنّ نور الدين كان متعصبا ليس للمذهب فحسب بل على بقية الديانات السماوية ، فما هو ذنب هؤلاء المعنيين من اليهود والنصارى أو من العبيد الذين تحت الرق وهم تحت حماية دولته ! .

وفي الصدد نفسه حول الأعمال الخاصة بالحكام وتوابعها السلبية ما نجده في سيرة نور الدين زنكي ، كان من بين الأفعال التي تقدمت على سائر أعماله وأفعاله وخلدها مدونوا سيرته ، واعتبروها من الفضائل والحسنات وهي محاربته للطائفة الشيعية ، في الحقيقة بعد تحليل النصوص الواردة في السيرة وجدنا أنّ نور الدين قد إستخدم القسوة والعنف في محاربة هذه الفئة سواء مع كبار رجالها أو من المستضعين ، ونجد أن مدون السيرة قد وقف قلبا وقالبا مع أفعال السلطان مؤيدا ومرحبا ، لا بل مختلقا الأعذار له مجتهدا في إنتقاء أنواع العبارات من المديح التي تظهره بمظهر رجل الدين الرحيم كثير الحرص على دينه وأبناء رعيته ، مع إشارات بسيطة عن أعمال التعسف والإضطهاد الديني ، مثلا قوله "وفيها أبطل نور الدين بحلب الأذان بحي على خير العمل"[٢] ، تعقبت رجالات السلطان كبار الشيعة وتم تصفيتهم ونجد إن مدون السيرة يحمد الله على التخلص منهم سواء بأمر السلطان نور الدين أو من غيره ، فنجده يعقب بعبارات الرضا والحمد مثل "فلا رحمه الرحمن"[٣] أو قوله: "أراح الله الأرض ومن

عليها من ذلك المارد الرافضي"[٤] ، ومن الروايات الغريبة التي من الممكن أن نستنتج أنّها وقعت بسبب التعصب المذهبي والإضطهاد الطائفي إلا أنّ المؤرخ ذكرها ضمن الأحداث غير المقصودة والمدبرة ، مفادها أنّ غلاء ومجاعة قد حلت في خراسان وإضطرت الأهالي إلى أكل الحشرات والوقوع في أكل المحرمات لدرجة إن "ذبح إنسانا منهم رجلا علويا وطبخه وباعه في السوق ، فحين ظهر عليه انه فعل ذلك قتل نفسه" [٥] لو كان هذا النص صحيحا ، يحق لنا ان نتخيل درجة الوحشية التي وصلت إليها حال العامة ، من المحتمل أن يكون هذا الشخص القاتل قد حُرض على هذا العمل وبعد أن أتم فعلته تمت تصفيته خوفا من أن ينكشف السر ، وإلا ما الذي دفعه على الإنتحار ! ، حاول أبن قاضي شهبه تبرأة سلطانه من التهم والجرائم بنسج عبارات تطهره وتزكيه وتجلي سيرته من ان يكون بعيد عن الدين الإسلامي وتعاليمه ووصاياه وحبه لرسوله والإقتداء به ومن تلك العبارات قوله "كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية مواضبا على الصلوات في الجماعات ، عاكفا على تلاوة القرآن حريصا على فعل الخير" [٦] وايضا "كان يعظم الشريعة المطهرة ويقف عند أحكامها" [٧] ، وغالط نفسه وصرح بكل وضوح تسامح نور الدين موقفه المتساوي من جميع المذاهب بقول "وكان عارفا بمذهب ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه ، وليس عنده تعصب على احد ، والمذاهب كلها عنده سواء" [٨] .

ومن هذا الباب ما تناوله ابن شداد بوصفه لاحدى المنجزات زمن السلطان الظاهر بيبرس هو وجود البريد ، فيقول : "ومن عزماته التي احياها سنة عجزت الملوك من ايام المعتصم عن إتيانها ، ولم تنهض بها هممهم في مرور عصورها وازمنتها" [٩] ، نتسائل هنا كيف عجزت الملوك عن اتيانها وهي من الجوانب الادارية القديمة ، استخدمها الانسان منذ القدم ، ، وترجع بداياته بصورة نظامية الى عهد دولتي الفرس الساسانيين والروم [١٠] حتى في بدايات المغول ومن عهد جنكيز خان رتّب محطات للبريد [١١] ، وهذا الموضوع نفسه نجده يبهر المؤرخ ابن عبد الظاهر مدون سيرة بيبرس ، ويرجع انشاء البريد لهمة السلطان العالية وان "هذه أمنية كان الخلفاء تتمناها ، قال بعضهم تمنيت بريدا صادقا سريعا لا يخفيني شيئا من المستجدات ولا تنضوي عني حالة من الحالات" [١٢] ، وتكررت هذه الحادثة عهد السلطان الأشرف خليل وبالغ مدون سيرته ما حدث بانشائه البريد وكيف ربطت البلدان

البعيدة بعبارات رنانة من الفخر والمبالغة والمغالات [١٣].

والمبالغة بمديح افعال السلاطين الواجبة عليهم تجاه رعيتهم ماحدث من قحط وغلاء الاسعار وشدة إقتصادية سنة (٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م) ، إذ عم الجوع البلاد ثلاثة أشهر ، يفتخر مدون سيرة بيبرس على أنّ السلطان استطاع التغلب على هذا الحال الصعب واجتاز هذه الشدة ، وأعاب على من سبقه من الحكام الذين صادفت ايامهم مجاعات وأزمات إقتصادية ومنها الازمة الفاطمية زمن الخليفة "المستنصر العلوي أحد خلفائهم بمصر عم الجوع والبلاء حتى أنّ الوزير ركب إلى دار الوزارة فأخذت بغلته وأُكلت للوقت ، فأُخذ آكلوها وشنقوا ... وما دبر أحد هذا التدبير الحسن" [١٤] ، هنا نستوقف لعقد مقارنة بين الازمتين الاقتصاديتين ، الشدة الفاطمية استمرت بحدود السبع سنوات ولقلة الامطار وجفاف نهر النيل طوال تلك المدة ، وفي الشدة الظاهرية أن صح القول استمر الجفاف ثلاثة اشهر فأين السبع سنوات من الثلاثة اشهر ! وثانيا : انّه لم يطلعنا على تدبير سيده وكيف أنه استطاع تجاوز تلك ألازمة ، فقط أكتفى بالاشارة الى قلة الفقراء وكثر الخير بنية السلطان [١٥] ! لا نعرف ما المقصود بنية السلطان ! ، وموضوع الازمات والمجاعات نفسه نجده قد تجدد في فترة حكم المؤيد شيخ ، حاول العيني كسابقه أنّ يجعل سلطانه أفضل السلاطين في تدبير الأمور وتلافي الأزمات ، إذ انه عاب على بيبرس تصرفه بأن فرق في كل يوم عشرين الف رغيف على فقراء مصر والقاهرة وذلك سنة (٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ هـ) "ولكن أين هذا من ذلك؟! (يقصد بيبرس من المؤيد شيخ) فأن القمح بيع في أيام الظاهر في ذلك الغلاء كل أردب بمائة وستين درهما وفي ايام مولانا المؤيد حيث كان يفرّق الخبز ، بلغ الاردب مطحوناً الى الف ... ومع هذا كانت شُوَن [١٦] الملك الظاهر مملوءَة بالقمح وغيره ، وكذلك شُونُ الامراء والاعيان ، ولم يكن في شُونة مولانا الملك المؤيد قدح من القمح ولا في شُونِ الأمراء إلا نزرٌ يسير" [١٧] ، كل مؤرخ نجده يبالغ بتمجيد افعال سلطانه ويراها خيراً من سواها .

هناك بعض الحالات التي سلكها بعض المؤرخين وهو تمجيد افعال السلطان حتى وان كانت غير صحيحة والاجتهاد على اخراجها بافضل صورة ، ومنها قرار السلطان الظاهر بيبرس بمنع الخمور باستخدام اشد العقوبات التي يرفضها الدين الاسلامي والعقل الانساني ، اذ قام بنشر العيون والجواسيس للبحث والتفتيش عن شارب الخمر وبائعه وصانعه "وجعل العيون على

من يخدر بطره واشره وعلى العين عينا يصغي اليه بسمعه ويلحظه ببصره ، فتمكن منهم التخيل حتى استشعر كل منهم من امه وابيه وصاحبته واخيه وجدار منزله الذي يؤويه ، ولقد بالغ في المنع مما حضر الاجتماع عليه والنظر بعين الرغبة اليه حتى سمّر وسمل وشنق وغرّق وحبس ونفي" [١٨] ، يحق للقارئ ان يتخيل من هذه المفردات والكالمات في النص اعلاه حجم المأساة التي اتخذها بيبرس كقرار لمنع الخمور من بلاده ، ويصنفها ابن شداد تحت عنوان (ذكر ما يَزهو على زَهَر الخميلة من جُمل سيرته الجميلة) [١٩] .

ومن الاعمال التي قام بها الحكام واهتموا بها غاية الاهتمام هو مسألة البناء والعمران ، نستطيع ان نعطيهم الحق كونهم وبحسب مناصبهم يحق لهم التفاخر بالابنية لكن ليس للحد الذي يجعله هو المهم والشاغل الاكبر على الرغم من مرور البلاد بفترات من القحط والمجاعات لاسيما ان في عهد السلطان الظاهر بيبرس كان عهد حروب مع المغول من جهة والفرنج من جهة ثانية وهذا يستنزف اقتصاد وخزينة الدولة وفي احيان كثرة ما يلجأ فيها الحاكم الى فرض الضرائب على عامة الناس ، فمن الابنية التي استوقفتنا اثناء الدراسة والتي تغنى بها ابن شداد في جانب العمارة للسلطان بيبرس ما يسمى ب (دار البقر) ، بالغ بيبرس في الصرف والبذخ على هذا الاسطبل لدرجة ان السور الذي كان يحيط بهذا المكان منقوشة عليه عبارات من الذهب [٢٠] ، ويقال عنه انه من عجائب الدنيا تدور البقر من اعلاها فتنقل الماء من نقالة في وسطها وتدور الابقار في وسطها تنقل الماء من اسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البقر الى معينها [٢١] .

هناك نوع من كتب السيرة المفردة للحكام خلال العصر المملوكي أكد مؤلفوها على ذكر الحسنات والايجابيات لكن بمبالغة واضحة وملفته للنظر ، وهذا الشي يدخل المؤرخ في مطبات خارجة عن المألوف وبعيدة عن الاحكام والقوانين الدينية والدنيوية ، فمن تلك الكتب هو كتاب (النور اللائح والدر الصادح في اصطفاء مولانا الصالح) يقصد به الملك الصالح بن الملك الناصر بن الملك المنصور قلاوون المشار إليه في بداية الدراسة ، نجد مؤلفه قد ركز جل تفكيره في تفخيم وتهويل افعال السلطان واعماله ، فعلى الرغم من صغر حجم الكتاب ، الا ان اغلبه حمل عبارات السجع المنظوم بذكر خصال السلطان الحسنة بإستخدام الجمل الرنانة ، ومن ذلك مثلا "وأعطاه ما لم يعطِ احدا من الملوك من الاخلاف الرضية والصفات المرضية والسجية السخية والهمم العلية

والعزائم التي هي امضى من الصفاح المشرفية والشجاعة العلوية والسطوات العُمرية والاقدامات القمرية والسماحة الحاتمية والحلوم الاحنفية والفطنة الاياسية والمحاسن اليوسفية والطاعات السليمانية والآيات الاسماعيلية والعظمة المحمدية فليس لأحد نزاع ولا لملكه إن شاء الله تعالى من ملكه انتزاع لأن الله تعالى اختاره على عباده وحكمه في بلاده وصرف أمره في طارف الأمر وتلاده وحفظ سلطانه الصالح ملك آباءه وآجداده وآتاه الملك صفواً عفواً" [٢٢] ، نجد المؤرخ قد جمع مجمل الصفات الحميدة واوجدها في شخص السلطان ، بل وحتى جعله من ضمن الذين يتمتعون بالعصمة المحمدية ، التي لا نعرف من اي طريق وصلت اليه أمن وراثة أمن وراثة أم نسب أم لقرب المكان والزمان أم لمجرد ظهور الجانب الأدبي في ألفاظ متناسقة مصفوفة مسجوعة من دون معاينة أو تدقيق ! .

تخلل هذا النوع من المديح اغلب كتب سير الحكام المفردة خلال العصر المملوكي ، فمثلا قول ابن ايبك بوصفه رجوع السلطان الناصر محمد الى عرشه سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨م) ، "تشرفت الديار المصرية والممالك الاسلامية بحلول ركاب ملك الارض في طولها والعرض" [٢٣] كيف شمل حكم السلطان الناصر أرجاء الكرة الارضية جميعها ، ولخص وصفا شاملا لعهد السلطان المذكور وصوره بأنه ابهى الفترات التأريخية وأكثرها رخاءا و أمنا وامانا متناسيا ما حدث من إنقلابات سياسية وأزمات اقتصادية ، وأكد انه لم يسمع أو يطلع على أفضل من هذا الرخاء والامن "وقد اعتبرت منذ أول زمان وإلى آخر وقت لم أجد زمانا أكثر خيرا وأمناً وخصباً وإقامة منار الإسلام في سائر الممالك الإسلامية من زمان مولانا السلطان ، وقد قيل الاوطان حيث يعدل السلطان وعدل السلطان خير من خصب الزمان فكيف إذا اجتمعت هذه الخلال في أيام مولانا السلطان ...لم يكن من زمان أكثر خيراً وأمناً وخصباً من هذا الزمان فهذا لا يحتاج الى دليل ولا الى برهان كونه بالمشاهدة والعيان يفهم ذلك كل من له إطلاع"[٢٤] ، نجد المؤرخ في النص أعلاه قد جزم في افضلية عصر السلطان الناصر في الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية أجمع متغافلاً ما حدث من أزامات سياسية وأنقلابات وإنتزاع العرش مرات عدة ، وحتى الوضع الاقتصادي وايام القحط والشدة ، فضلا عن كونه ميّز سلطانه بالعداله ، وايّ عدالة ؟ وهو من أكثر السلاطين تفضيلا لنفسه ولمصلحته الشخصية والتأكيد على إختيار الولاة الظلمة حرصاً منه على جمع الاموال كما مر بنا سابقا ، قلما نجد مؤرخي

كتب السيرة المفردة من يتمتع بالصراحة والجدية في إعطاء الاحكام النهائية ، ومن بينهم المؤرخ اليوسفي الذي شاهدنا فيه شخصية المؤرخ الصادق الامين المحايد في نقل وتدوين الأحداث التأريخية ، فمثلا عند وصفه للحياة الثقافية في عهد الناصر وما عليه من الإزدهار والتطور بقوله "إنما كانت تتويجاً لما اختزن في الماضي بشكل تصاعدي منذ الدولة الزنكية مروراً بالدولة الايوبية ووصولاً للدولة المملوكية من المؤسسات الثقافية التي كانت عمادها المدارس والجوامع ودور الحديث والبيمارستانات" [٢٥] .

بالغ المؤرخ شافع بن علي في مدح اعمال السلطان الظاهر بيبرس التي هي في الحقيقة واجب مفروض وحق مقرر بوصفه الراعي والمكلف للقيام بخدمة ابناء دولته وليس له التفضل في تلك الاعمال كونها من بيت المال وليس من أمواله الخاصة او أموال اباءه وأجداده ، وأدخلها من ضمن الأعمال المستحبة لكسب الحسنات ما قام به من تجديد الأبنية الآيلة للسقوط في حرم الخليل لتقادمها "فبادر إلى إكتساب الحسنات" [٢٦] ، ومن ذلك تكريمه للعلماء وطلاب العلم[٢٧] "وأما فضله وكرمه وإحسانه إلى أهل العلم فأظهر من الشمس" [٢٨] ، وذكر جملة ما أعطاه للعلماء وطلاب العلم من مرتبات وبناء مدارس وزوايا ، المتمعن بهذا الجانب يجد أنّ المؤيد شيخ في بذخه على العلماء وطلاب العلم رغبة منه لكسب جانبهم لما كانوا يتمتعون به من تأثير على الراي العام ، ومن أمثال هؤلاء المؤرخ نفسه القاضي بدر الدين العيني ، الذي وصف عطايا السلطان له والمناصب التي تسنمها "ومن جملة من أحسن إليه مؤلف هذه السيرة المؤيدية من ذهب وفضة وخلعة بتقرير في الحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة،ثم بخلعة أخرى بتقريره في نظر الأحباس [٢٩] بالديار المصرية ، كل ذلك كان منه على المؤلف انعاماً"[٣٠].

قديما كان الصيد واللعب بالكرة من الهوايات الشائعة والمتبعة عند بعض السلاطين ، والبعض الاخر كان بعيدا عن هذه الأمور ، المؤرخون جعلوا اللعب بالكرة والصيد له فوائد غير اللهو والتنزه ، ومنهم ما نقله ابن القاضي شهبة عندما دار عتاب بين أحد الرجال الصالحين كثير الورع ونور الدين زنكي بعدما عاتبه على إنشغاله وإدمانه على اللعب بالكرة بقوله "ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين خطبة يقول : والله ما يحملني على اللعب بالكرة واللهو والبطر إنما نحن في ثغر والعدو منا قريب فربما وقع صوت فتكون الخيل قد أدمنت على سرعة

الإنعطاف والكر والفر ... فهذا والله الذي بعثني على اللعب بالكرة" [٣١] ويعلل بعد ذلك المؤرخ وعلق على هذا الرد متفاخرا متعجبا بقوله "فأنظر الى هذا الملك المعدوم النظير الذي يقل في اصحاب الزوايا والمنقطعين الى العبادة مثله ، فإنّ من يجيء الى اللعب بهذه النية الصالحة حتى يصير من أعظم العبادات وأكبر القربات" [٣٢] .

وفي الصدد نفسه ما قام به المؤرخ ابن عبد الظاهر في مناقضة نفسه بنفسه عند تدوينه لأخبار كل من السلطان الظاهر بيبرس الذي كان من عشاق هواية الصيد والمواظبين عليها أسبوعيا و السلطان المنصور الذي كان يكره هذه الهواية ويمقتها ، فوصف ولع السلطان بيبرس بالرماية والصيد وإنّه حث الامراء وشجعهم على ذلك حتى أنه في سنة (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) قام بخلع التشاريف على كل من احضر صيدا [٣٣] ، وإنّه مارس الصيد المفرط وفي أحدى المرات أحضر "إلى الدهليز ثلاثمئة غزال وخمسة عشر نعامة" [٣٤] ، وشدد مختصر السيرة في الوصف بقوله "وفيها أمر بالإدمان في رمي النشاب واللعب بالرمح سائر الجيش الأمير والمأمور" [٣٥] ، وذكر ابن عبد الظاهر نفسه عند تدوينه لأخبار للسلطان الأشرف خليل وإهتمامه بالصيد تعبيرا عن خروجه وجولاته ب "الصيد المبارك" [٣٦] ، و "وأظهر من الإحتفال بهذه الحركة ما لا سمع أنه أحتفل بهذه الحركة ملك من قبله بمثله وإستصحب من الخزاين ما اثقل الكواهل بنقله ... فحصل له من تلك الجهة من الصيود ما خالف المعهود وكثر العطاء والتشاريف على ذلك حتى إستغاث الكرم والجود" [٣٧] صور التبذير والبذخ الذي ليس بمحله بالكرم والجود ، والذي هو ما يخص أمراءه ومقربوه فقط ! أما عند تدوينه سيرة المنصور قال : بأنه ليس له رغبة في الصيد وإنّه في جولة من الجولات قد اصطاد طائرا وأدعى أنه وقع بسهم غيره "صرع مولانا السلطان الملك الصالح كيّا (طائر البجعة) مباركا وأدعى انه للمولى الملك المنصور صاحب حماة لأن مولانا السلطان المنصور لم تحصل له عناية بذلك لأنشغاله بأمور الجدية والأحوال الحربية" [٣٨] ، وكذلك شافع بن علي الذي كتب عن المنصور قلاوون قوله "مولانا السلطان لم يرض بهذه الخفة ، ولا طار في هذه الجفة ، بل كان لا يفارق أعلامه من المنزلة إلى المنزلة ، ولا يرى أن تكون خُلوا من ايٍّ جماله المنزلة" [٣٩].

ومن المبالغة في مدح أعمال السلاطين وافعالهم ، ما صوره ابن عبد الظاهر في حادثة ذهاب السلطان الظاهر بيبرس الى الحج فيذكر بعد ان طاف السلطان وسعى

قام بغسل الكعبة بيده ، وحمل الماء على كتفه في القِرب وغسل البيت الحرام ، وليس هذا فقط ، بل قام بغسل ملابس الحجاج بماء غسل الكعبة "وكل من رمى إليه إحرامه غسله له بما ينصب من الماء من الكعبة الشريفة ويرميه الى صاحبه وجلس على باب الكعبة فأخذ بأيدي الناس – أخذ الله بيده ليطلع بهم الى الكعبة وتعلق أحد العوام به ولما لم يقدر على يده لتزاحم الناس عليه تعلق بإحرامه فقطعه وكاد يرميه الى الأرض وهو مستبشر بهذا الأمر ، وعلق كسوة البيت الشريف المستعملة بالديار المصرية ورفعها بيده على أركان البيت الشريف" (٤٠) ، يا له من سلطان ويا له من فعل يدل على الدين والرحمة ومحبة الرعية ، لا يعقل أنّ السلطان نفسه المعني والمؤرخ نفسه وفي الكتاب ذاته قد ذكر في الصفحة السابقة لصفحة هذا النص وهذا الوصف ، انه قام بجرم يهتز له عرش الخالق من درجة الظلم عندما سمع أحد الأمراء خروج موكب السلطان للحج تمنى ان يكون من ضمن المرافقين له ، فأمر بقطع لسانه من قفاه كونه كان يريد ان يبقي أمر تحركاته سرا(٤١) .

جزم ابن ايبك بأنّ سلطانه الناصر خيرة حكام الارض ، وإنّ أعماله وافعاله في خدمة رعيته أعلاها رفعة وقدرا ، وانه تعجب من كتبة التأريخ السابقون له ممن دونوا لملوكهم وتمجيدهم لهم ولإنجازاتهم ، وإنهم "لو ادركوا والله هذه الدولة القاهرة وشاهدوا هذه السنة المباركة وما اهتم فيها مولانا السلطان لصغر عندهم ما استكبروه وصغر في أعينهم ما استسمنوه" (٤٢) .

الهوامش:

١) ابـن قاضـي شـهبة ، الكواكـب الدريـة ، ص ٣٨ ٠

٢) ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية، ص ١٣٠ ٠

٣) المصدر نفسه ، ص ٩٥ ٠

٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ ٠

٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ ٠

٦) ابـن قاضـي شـهبة ، الكواكـب الدريـة ، ص ١٧ ٠

٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠ ٠

٨) المصدر نفسه ، ص ٥٦ ٠

٩) تاريخ الملك الظاهر ، ص ٣١٣

١٠) نبهان ، نظام البريد ، ص ٤٦ .

١١) المرجع نفسه والصفحة ٠

١٢) الروض الزاهر ، ص ٩٥ ٠

١٣) ابن عبد الظاهر ، الألطاف الخفية ، ورقة ٤٣ ٠

١٤) ابـن عبـد الظـاهر ، الـروض الزاهـر ، ص ١٩٠ ٠

١٥) المصدر نفسه والصفحة ٠

١٦) الشـون هـي مخـزون المحاصـيل الزراعيـة فـي اللغـة المصـرية القديمـة ٠ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٨ ، ص ٣٣٠ ٠

١٧) السيف المهند ، ص ١٦٧ ٠

١٨) ابـن شـداد ، تـأريخ الملـك الظـاهر ، ص ٣٤١ ٠

١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ ٠

٢٠) ابن شداد ، تأريخ الملك الظاهر، ص ٣٤٢ ٠

٢١) المقريـزي ، الخطـط ، ج ٢ / ص ٢٠٤ ٠

٢٢) ابـن القيسـراني ، النـور اللائـح ، ص ٤٨ ٠

٢٣) الدر الفاخر ، ص ٦ – ٧ ٠

٢٤) ابـن ايبـك ، الـدر الفـاخر ، ص ٣٨٤ ٠

٢٥) نزهة الناظر ، ص ٤١ ٠

٢٦) المناقب ، ص ٢١٥ ٠

٢٧) العيني ، السيف المهند ، ص ٢٧٢ ٠

٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ٠

٢٩) نـاظر الاحبـاس: اي نـاظر الاوقـاف. القلقشـندي ، صـبح الأعشـى،ج ١١/ ص٢٤٩.

٣٠) السيف المهند ، ص ٢٧٤ – ٢٧٥ ٠

٣١) ابن قاضـي شـهبة ، الكواكـب الدريـة ، ص ٥٥ – ٥٦ ٠

٣٢) المصدر نفسه والصفحة .

٣٣) الروض الزاهر ، ص ٤٠٢ ٠

٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ ٠

٣٥) شافع بن علي ، المناقب ، ص ٢٩٥ ٠

٣٦) ابن عبد الظاهر ، الالطاف الخفية ، ورقة ٣٢ ٠

٣٧) ابن عبد الظاهر ، الالطاف الخفية ، ورقة ٣٣ – ٣٤ ٠

٣٨) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٥٣ ٠

٣٩) الفضل المأثور ، ص ١٧١ ٠

٤٠) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٥٥ ٠

٤١) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٥٤ ٠

٤٢) الدر الفاخر ، ص ٣٦٩ ٠

المصادر والمراجع

أولا _ المخطوطات

• ابن عبد الظاهر ، محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٣ هـ / ١٢٣٩م)

- الألطاف الخفية في السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية ، المكتبة الشاملة ، الرقم التسلسلي ، ٧٢٣٣٠ .

ثانيا _ المصادر

• ابن ايبك ، ابو بكر عبد الله بن ايبك الدواداري (ت ٧٣٦ هـ / ١٤٣٢ م)

- الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، (القاهرة – ١٩٦٠) .

• الزبيدي ، محب الدين أبو فيض محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) ٠

– تاج العروس في جواهر القاموس ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر (لبنان – ١٩٩٤).

• شافع بن علي ، شافع بن علي بن عباس (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م)

- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق ونشر عبد العزيز من عبد الله الخويطر ، ط ٢ ، (الرياض – ١٩٨٩ م) ٠

• ابن شداد ، عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)

–تأريخ الملك الظاهر ، تحقيق احمد حطيط ، مركز الطباعة الحديثة (بيروت – ١٩٨٣ م) .

• ابن عبد الظاهر ، محي الدين بن عبد الظاهر(ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م)

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، ط ١ ، (الرياض – ١٩٧٦ م) .

• العيني ، محمود بن احمد بدر الدين (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق فهيم محمد علوش، دار الكتب المصرية (بيروت – د ٠ ت) .

• ابن قاضي شهبة ، بدر الدين بن القاضي شهبة (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م)

- الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، دار الكتاب الجديد (د٠ ت – د ٠ م)

• القلقشندي ، أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨)

- صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العربية (بيروت – د ٠ ت)

• ابن القيسراني ، ابراهيم بن عبد بن القيسراني القرشي الخالدي (ت ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م)

- النور اللائح والدر الصادح في إصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح ابو الفدا عماد الدين اسماعيل ابن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، دار الإنشاء للطباعة والصحافة والنشر (طرابلس – ١٩٨٢ م)

• المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المصري (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م)

- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد السيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (لندن – ٢٠١٣ م)

• اليوسفي ، موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م)

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق الدكتور احمد حطيط ، ط١ ، (بيروت – ١٩٨٦ م)

ثالثا – البحوث

• نبهان ، عادل محمد

- نظام البريد ودوره في الصراع بين المماليك والمغول (٦٦١ – ٧٢٣ / ١٢٦٣ – ١٣٢٣) ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والإجتماعية ، مجلد ٨ ، عدد ١ (فلسطين – ٢٠١٠)